بيان زغل العلم والطلب

للحافظ الكبير مؤرخ الاسلام
شمس الدين ابي عبد الله
محمد بن احمد بن
عثمان الذهبي
المتوفى سنة ٧٤٨ هـ . رحمه الله

ويليه

النصيحة الذهبية لابن تيمية

عن نسخة الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري

عني بنشرهما : القدسي
دمشق الشام : صندوق البريد ٢٠٧

مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وأصحابه الذين انتهجوا الطريق القويم

أما بعد فلا يخفى أن العلوم تزداد نضوجاً بتلاحق أفكار الباحثين وتتنوع بتعاقب بحوث الفاحصين ، وعلى مقدار حظوظ الأمم منها تكون سعادتها وشقاؤها وعليها ترتكز حياتها وبقاؤها ، وكان المسلمون أيام مجدهم لا يلحقهم فيها لاحق ولا يسبق إلى مرتمى شأوهم فيها سابق . وعلى قدر عناية المرء بها تكون صلته بماهيته النوعية ومن كان خلواً منها فهو هيكل في الصورة البشرية وتمثال مدسوس بين أفراد النوع لا قيمة له لا في نظر العقل ولا في تقدير الشرع فالعلم والدين شقيقان لا يتدافعان إلا في مخيلة من لا يحق أن يعد من بني الإنسان .

يعز علينا أن نرى من يناهض العلم بين من يتظاهر بالدين وهو بعيد عنه جامد جاهل كما نستسخف أحلام من يناصبه العداء في الكمين وهو دعي في العلم خامد خامل ، كلاهما آفة كل فضيلة ومنهما تنسل كل رذيلة .

هذا . و (زغل العلم) جزء لطيف للذهبي يبين فيه آراءه في العلوم والمذاهب وما قد يعتريها من آفات تكدر صفو تلك المطالب بأسلوب سلس يحلو في الاسماع ولهجة مستطرفة الاسجاع ، يستدل به القارئ الكريم على مبلغ صلة الذهبي بالعلوم التي تكلم عليها ويتمثل لديه حياته العلمية كأنه عاش معه وعاشره ويظهر له هل هو ممن ينزل على حكمه في تراجم الرجال ؟ في مختلف الطبقات والاجيال على تفاوت علومهم من منقول ومعقول وفروع وأصول ، واليه يفزع عامة المتأخرين في تراجم العلماء المتقدمين حيث أقروا له بالبراعة في معرفة ذلك ، لكن لا بد للتعويل على معيار المؤرخ في وزنه لرجال

العلوم وأئمتها ان نكون على بينة من مبلغ مشاركته بعلوم المترجمين ومعارفهم حتى لا يضع ميزانه الرفيع دون مستواه في المرتبة ولا يرفع الوضيع فوق ماله من الميزة والمزية . والذهبي وان كان من ابرع من ينتمي الى السلف من المتأخرين ، ومشاركته قوية في علوم القراآت وباعه غير قصير في الحديث ومعرفة أسماء الرجال ووفياتهم لكنه بعيد عن الالتفات الى بقية العلوم حتى الفقه وأصوله فيلزم ان يكون الاعتماد على معياره متوازناً مع ماله من الحظ في علم من يؤرخه ويترجم له مع التنبه لما قد يتغلب عليه من أهواء ولدتها آراء شب عليها ودرج . ولا نعدو القصد في التعليق على هذه الرسالة ولكل رأيه فيما عليه وماله .



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

اعلم ان في كل طائفة من علماء الامة مايذم و يعاب فتجنبه :

(علم القراءة والتجويد)

فالقراء المجودة : فيهم تنطع وتحرير زائد يؤدي الى ان المجود القارئ يبقى مصروف الهمة الى مراعاة الحروف والتنطع في تجويدها بحيث يشغله ذلك عن تدبر معاني كتاب الله تعالى ويصرفه عن الخشوع في التلاوة ويخليه قوي النفس مزدرياً بحفاظ كتاب الله تعالى فينظر اليهم بعين المقت وبأن المسلمين يلحنون وبأن القراء لا يحفظون الا شواذ القراءة فليت شعري أنت ماذا عرفت وماذا علمت ! فأما علمك فغير صالح وأما تلاوتك فثقيلة عرية عن الخشعة والحزن والخوف فالله تعالى يوفقك ويبصرك رشدك ويوقظك من مرقدة الجهل والرياء . وضدهم قراء النغم والتمطيط وهؤلاء من قرأ منهم بقلب وخوف قد ينتفع به في الجملة فقد رأيت منهم من يقرأ صحيحاً ويطرب

ويبكي ورأيت منهم من اذا قرأ قسى القلوب وأبرم النفوس وبدل الـكلام ، وأسوأهم حالاً الجنـائزية . وأما القراءة بالروايات وبالجمع فأبعد شيءٍ عن الخشوع وأقدم شيءٍ على التلاوة بما يخرج من القصد وشـعارهم في تكثير وجوه حمزة وتغليظ تلك اللامات وترقيق الراآت . اقرأ يا رجل واعفنا من التغليظ والترقيق وفرط الامالة والمدود ووقوف حمزة فالى كم هذا ! وآخر منهم ان حضر في ختم أو تلا في محراب جعل ديدنه احضـار غرائب الوجوه والسكت والتهوع بالتسهيل وأتى بكل خلاف ونادى على نفسـه أنا « أبو اعرفوني » فاني عارف بالسبع ،ايش نعمل بك ؟ لا وصبحك الله بخير انك حجر منجنيق ورصاص على الافئدة . (١)

---

(١) علوم القراآت من اشرف العلوم لتعلقها بالقرآن الحكيم الذي به يسعد المسلمون اذا اعتصموا بهدايته في شؤن الدارين ويلقون الهوان والشقاء ان نبذوه وراءهم ظهريا ، والتجويد حتم لازم ، والقراآت أبعاض القرآن يجب ادامة تواترها على الأمة مدى القرون بل على اهل كل قطر ان يكون عدد القائمين بها منهم بالغاً حد التواتر والا يأثمون جميعاً كما نص على ذلك المحققون من العلماء. والمصنف ممن صرف شطراً من عمره في علم القراءة حتى حصل له مشاركة قوية فيه فهو من اكبر المقدرين لعظم شأن علوم القراآت،وانما اراد هنا تنبيه المغترين على الآفات التي لا يخلو منها علم وردعهم عنها ، وحاشاه ان يكون قصده تثبيط عزائم القائمين بهذا العلم الجليل في امصار المسلمين على قلتهم اليوم وقبل اليوم كثرهم الله وأدامهم .

﴿ علم الحديث ﴾

وأما المحدثون : فغالبهم لايفهمون ولا همة لهم في معرفة الحديث ولا في التدين به بل الصحيح والموضوع عندهم بنسبة وانما همتهم في السماع على جهلة الشيوخ وتكثير العدد من الاجزاء والرواية لا يتأدبون بآداب الحديث ولا يستفيقون من سكرة السماع ، الآن يسمع الجزء ونفسه تحدثه متى يرويه أبعد خمسين سنة ! ويحك ماطول أملك وما أسوأ عملك ، معذور سفيان الثوري يقول فيما رواه احمد بن يوسف التغلبي حدثنا خالد بن خداش حدثنا حماد بن زيد قال سفيان الثوري : لو كان الحديث خيراً لذهب كما ذهب الخير . صدق والله وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيه وأنت لاتفليه ولا تبحث عن ناقليه (١)

---

(١) مجرد الرواية قليل الجدوى في الاعصار المتأخرة . بل قالوا : الحديث شطران احدهما معرفة احوال رواته على الوجه والآخر معرفة معانيه على ما هي عليه عند أهل الفقه بالدين فمن كان مقصراً في احدهما فقد قصر في الحديث بقدر ذلك ولو أدى ما سمعه كما سمعه . وقل من يفي الشرط في جميع الطبقات ، والجمع بين الشطرين صعب المنال الا لأفذاذ من الرجال ، وقد نقل ابن طولون في كتابه «الفلك المشحون» عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال لبعض اصحابه : أتريد ان تجمع بين الفقه والحديث هيهات» بل كثيراً ما تراه نفسه يروي في «الأم» حديثا ثم يقول : وبه آخذ اذا صح او ان ثبت ونحو ذلك ولا يجزم بشيء من طرفي النفي والاثبات ، وهذا غاية التأني والورع في دين الله فلا تغترن بمن تسبق فتواهم الاستفتاء وأن لم يقاربوا نعال اولئك الأئمة الفقهاء .

ولا تدين الله تعالى به. أما اليوم في زماننا فما يفيد المحدث الطلبُ والسماع مقصودَ الحديث من التدين به بل فائدة السماع ليروي فهذا والله لغير الله تعالى. خطابي معك يامحدث لامع من يسمع ولا يعقل ولا يحافظ على الصلوات ولا يجتنب الفواحش ولا قرش الحشائش ولا يحسن ان يتصدق فياهذا لا تكن مجرماً فاتناً أنحس المناحيس. فطالب الحديث اليوم ينبغي له ان ينسخ اولاً (الجمع بين الصحيحين) و (أحكام عبد الحق) و (الضيـاء) (١) ويدمن النظر فيهم ويكثر

---

(١) اما (الجمع بين الصحيحين) فهو للحميدي الاندلسي (المتوفى سنة ٤٨٨) جمع فيه احاديث الصحيحين وأجاد، رتبها على مسانيد الصحابة على خمس طبقات فابتدأ بمسند ابي بكر الى تمام العشرة المبشرة، ثم المقدمين بعد العشرة ثم المكثرين، ثم المقلين، ثم النساء. حذف الاسانيد الا التابع عن الصاحب وعين مواطن اتفاق الشيخين ومواقع انفرادهما في المتون دون الرواة وأضاف الى ذلك نبذاً مما تنبه عليه من كتب الدارقطني لا سيما (الاستدراكات والتتبع) و (مستخرج الاسماعيلي على البخاري)، و (مستخرج ابي بكر الخوارزمي البرقاني على الصحيحين)، و (اطراف الصحيحين لابي مسعود الدمشقي) وكتب غيرهم من الحفاظ الذين عنوا بما يتعلق بالكتابين من تنبيه على غرض او تتميم لمحذوف او زيادة في شرح او بيان لاسم او نسب او كلام على اسناد او تتبع لوهم بعض اصحـاب التعاليق في الحكاية عنهما ونحو ذلك، وميز عن الاصل ما زاده من الكتب المذكورة. والحميدي هذا ممن سمع على ابن عبد البر ولزم ابن حزم، ولما امتحن مع شيخه في المذهب الظاهري هرب الى

الشرق وأصبح لا يتظاهر بمذهبه حتى مات ببغداد ، ولو كان رتب كتابه على الابواب لكان اكثر نفعا وأسهل تداولا للمشتغلين بأحاديث الاحكام . وأما كتاب (الاحكام) فهو للحافظ عبد الحق الاشبيلي (المتوفى سنة ٥٨١) فالاحكام الكبرى له كتاب لطيف الوضع كثير النفع مرتب على الابواب انتقى احاديثه من الموطأ والكتب الخمسة وابن ابي شيبة وغير ذلك ، غالبها احاديث الاحكام وفيها الترغيب والترهيب والادعية والاذكار وجمل في الفتن ونبذ من التفسير ، يتكلم على الاحاديث مرة وعلى الرواة اخرى من كامل ابن عدي وعلل الدارقطني وسننه وعلل ابن ابي حاتم ، ومع ذلك لم يخل عن اوهام انتقدها ابو الحسن بن القطان الفاسي (المتوفى سنة ٦٢٨) في كتابه (الوهم والايهام في كتاب الاحكام) اجاد فيه على تعنت معروف منه في نقد الرجال . وأما كتاب الضياء فهو كتاب (الاحاديث المختارة) للضياء المقدسي (المتوفى سنة ٦٤٣) استخرجهـا مما ليس في الصحيحين موصولا وربما يذكر احاديث بأسانيدجياد لها علة تذكر يفندعلتها. وتصحيح الضياء يعدقريباً من تصحيح الترمذي، ويحسن ان يخص ذلك بأحاديث الفقه من حلال وحرام فانه لتشبعه بآراء اصحابه قد يتساهل في تصحيح مثل حديث حماد بن سلمة (. . اخرج خنصره على ابهامه فساخ الجبل) ، رتب كتابه على مسـانيد الصحابة وأطال الاسانيد اليهم وابتدأ بأحاديث العشـرة المبشرة ثم ذكر بقية الصحابة على حروف الهجاء باعتبار أسمائهم ولم يراع طبقات الحميدي وان كان ألف كتابه مسترشداً بقوله : «ولو تفرغ بعضهم لتتبع الصحيح من غير الصحيحين لكان حسناً » . وكتابه كتكملة لكتاب الحميدي ولو جمعه على الابواب لكان اقرب نفعا .

ودرسه (١) فأي شيء ينفع السماع على جهلة المشيخة الذين ينـ.امون والصبيان يلعبون والشبيبة يتحدثون ويمزحون وكثير منهم ينعسون ويكابرون والقـارئ يصحف واتقانه في تكثير « او كما قال » والرضع يتصاعقون (٢) بالله خلونا فقد بقينـا ضحكة لأولي العقول

---

(١) كتب البيهقي ممتعة في الرواية لا سيما (معرفة السنن والآثار)، لم يجمع للشافعية مثلها في الانتصار للمذهب الا انها لا تخلو عن أوهام وعدول عن الجادة في التحزب فيحتاج معها الى (الجوهر النقي)ونحوه تقويماً لاودهاو قلما يجمع الله تعالى لرجل الاكثار وحسن النقد في الآثار . وأما « الالمام في احاديث الاحكام » لابن دقيق العيد فمختصر نافع لولا ما وقع فيه من عزو الحديث الى غير من خرجه ونحو ذلك ، ولقد أحسن القطب عبد الكريم الحلبي تلخيصه واصلاحه في كتابه (الاهتمام بتلخيص الالمام) فالناسخ لتلك الكتب يحتاج الى درسها عند شيخ متقن جامع بين الرواية والدراية لئلا يأخذ بما أخذ عليهم فيغلط .

(٢) وتلك الحشود في مجالس التسميع في عصر المصنف وقبله وبعده لم تكن الا لتسجيل اسمائهم في طباق السماع - رضعاً وصبيانا شباباً وكهولا رجالا ونساء - بأنهم حضروا أو سمعوا الكتاب الفلاني فيروي من عاش من هؤلاء ذلك الكتاب بعد مضي دهر عن هذا الشيخ المسمع استناداً على تسجيل اسمه في تلك الطباق غير ضابط للفظ الشيخ ولا ذاكر لقراءة القارئ -- ولا تسل عن التساهل في الاجازات - وهكذا . ويكون الرجال في الاسانيد العالية هرمين مخلطين عند التسميع ورضعاً أو صبياناً حين التحمل والسماع في الغالب وبهذه الطريقة تعلو اسانيدهم . قال المصنف في الميزان : ولو فتحت على نفسي تليين هذا الباب (يعني من كان بعد سنة ثلثمائة) لما سلم معي الا القليل اذ الاكثرون

ينظرون الينا ويقولون هؤلاء هم اهل الحديث نعم ماذا يضر ! ولو لم يبق الا تكرار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لـكان خيراً من تلك الأ قاويل التي تضاد الدين وتطرد الايمان واليقين وتردي في أسفل السافلين لـكنك معذور فما شممت للاسـلام رائحة ولا رأيت اهل الحديث فأوائلهم كان لهم شيخ عالي الاسناد بينه وبين الله تعالى واحد معصوم عن معصوم سيد البشر عن جبريل عن الله عز وجل فطالبه مثل ابي بكر وعمر وابن مسعود وأبي هريرة الحافظ وابن عباس وسادة الناس الذين طالت اعمارهم وعلا سندهم وانتصبوا للرواية الرفيعة فحمل عنهم مثل مسروق وابن المسيب والحسن البصري والشعبي وعروة وأشباههم من اصحـاب الحديث وأرباب الرواية والدراية والصدق والعبادة والا تقان والزهادة الذين من طابتهم مثل الزهري وقتادة والاعمش وابن جحادة وأيوب وابن عون وأولئك السـادة الذين أخذ عنهم الاوزاعي والثوري ومعمر والحمادان وزيادة ومالك والليث وخلق سواهم من اشياخ ابن المبارك ويحيى بن القطـان وابن مهدي ويحيى بن آدم والشـافعي والقعنبي وعدة من اعلام الحديث الذين خلفهم مثل احمد بن حنبل واسحق وابن المديني ويحيى بن معين

لا يدرون ما يروون ولا يعرفون هذا الشأن انما سمعوا في الصغر واحتيج الى علو سندهم في الكبر هـ . وفي كتابنا (عتب المغترين بدجاجلة المعمرين) ترى عجائب وغرائب .

وأبي خيثمة وابن نمير وأبي كريب وبنـدار ومن يليهم من مشيخة البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وأبي زرعة وأبي حاتم ومحمد بن نصر وصالح جزرة وابن خزيمة وخلائق في الزمن الواحـد منهم الألوف من الحفاظ ونقلة العلم الشريف ، ثم تناقص هذا الشـأن في المائة الرابعة بالنسبة الى المائة الثالثة ولم يزل ينقص الى اليوم فأفضل من في وقتنا اليوم من المحدثين على قلتهم نظير صغار من كان في ذلك الزمان على كثرتهم ، وكم من رجل مشهور بالفقه وبالرأي في الزمن القديم أفضل في الحديث من المتأخرين وكم من رجل من متكلمي القدماء أعرف بالاثر من مشيخة زماننا فما أدركنا من اصحاب الحديث الا طائفة كقاضي ديار مصر وعالمها تقي الدين بن دقيق العيد والحافظ الحجة شرف الدين الدمياطي والحافظ جمـال الدين بن الظاهري والشيخ شهاب الدين احمد بن فرح (الاشبيلي) ونحوهم ، وأدركنـا من عكر الطلبة شهاب الدين بن الدقوقي ونجم الدين بن الخباز والشيخ عبد الحافظ ، ونحمد الله تعالى في الوقت أناس يفهمون هذا الشـأن ويعتنون بالأثر كالمزي وابن تيمية والبرزالي وابن سيد الناس وقطب الدين الحلبي وتقي الدين السبكي والقاضي شمس الدين الحنبلي وابن قاضي القضاة بدر الدين بن جمـاعة وصلاح الدين بن العلائي وفخر الدين بن الفخر وأمين الدين بن الواني وابن امام (ام الملك) الصالح ومحب الدين المقدسـي وسيدي عبد الله بن خليل وجماعة

سواهم فيهم العكر والغثاء. الله يستر والمرء مع من أحب والسعيد من نهض وهب وعلى الطاعة أكب والله الموفق الهادي .

(المالكية)

الفقهاء المالكية على خير واتباع وفضل ان سلم قضاتهم ومفتوهم من التسرع الى الدماء والتكفير فان الحاكم والمفتي يتعين عليه ان يراقب الله تعالى ويتأنى في الحكم بالتقليد ولاسيما في اراقة الدماء فالله تعالى ما اوجب عليهم تقليد امامهم فلهم ان يأخذوا ويتركوا كما قال الامام مالك رحمه الله تعالى: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم . فياهذا اذا وقفت غداً بين يدي الله تعالى فسألك لم أبحت دم فلان فما حجتك ؟ ان قلت قلدت امامي يقول لك :فما انا أوجبت عليك تقليد امامك ، ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اول ما يقضى بين الناس في الدماء » وفي الحديث «لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يتند بدم حرام» نعم من رأيته زنديقاً عدواً لله تعالى فاتق الله فيه وأرق دمه ابتغاء وجه الله تعالى بعد ان تستفتي قلبك وتستخير الله فيه (١) .

---

(١) الزنديق المتظاهر بالاسلام المستمر على دس سمومه بين المسلمين لا يمكن ازالة شره وفساده غالباً اذا قبلت توبته - باعتبار حكم الدنيا – كلما ابدى زندقة لانه لا يتحاشى ان يتلون بكل لون وان يظهر بكل مظهر ولا يستقر

(الحنفيــة)

الفقهاء الحنفية أولو التدقيق والرأي والذكاء، والخيرُ من مثلهم

على مبدأ ثابت ومن ثمة قال مالك : لا نعرف توبة الزنديق فيقتل وإن أبدى التوبة ، ولا تقبل توبته هـ. اخذاً بظاهر قوله تعالى (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم) وبظاهر الحديث فيمن بدل دينه وبما يروى عن ابي موسى وان كان مخالفاً لما عليه عمر ومن وافقه من الصحابة رضي الله عنهم . وجرى المسلمون على الأخذ بقول مالك اذا استفحل امر الزنادقة الفوضويين ولم يمكن دفع شرورهم بقول بقية الأئمة كما فعلوا ببغداد ايام المستظهر بالله العباسي في حق القرامطة وبمصر بعد زوال الدولة العبيدية في حق اذناب الباطنية حيث اوجبت مصلحة المسلمين الاخذ بقول مالك ، وقد خالفه من أئمة المغاربة بقي بن مخلد وابن المواز وتابعا بقية الأئمة ، وقد ينكت بعضهم على السادة المالكية في هذه المسألة التي قد توجب مصلحة المسلمين الاخذ بها وليس هذا التنكيت والتعريض بحقيق بأهل العلم وفي (انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك) : اني سمعت رجلا وقع في كلام صعب في جانب النبوة فأردت رفعه لقاضي القضاة الشافعي (يعني ابن حجر) وأخبرته بالقصة فقال لي رح به الى المالكية واجعلها في رقبة مالك وحمله التعصب على مخالفة مذهبه لانه كان حقه ان يسمع الدعوى ولا يعرض بالرجل للقتل بمذهب يعتقد خطأه وصحة مذهبه ليقبل التوبة ومذهب مالك لا يقبلها فعرض بالرجل للقتل خطأ على معتقده وأساء الأدب على مالك اهـ . وكان من في دينه رقة يخوف جداً من قضاة المالكية ايام كان القضاء اليهم .

ان سلموا من التحيل والحيل على الربا وابطال الزكاة (١) ونقر

---

(١) التحيل المفضي الى إلغاء الحكم في تشريع الاحكام لا يصدر الا ممن ضعف دينه ومرض يقينه وأما تطلب المخلص من المآزق من غير ابطال حق ولا احقاق باطل بتدابير لطيفة لا تصطدم مع النصوص فمما ندب الله ورسوله اليه وجرى سلف الائمة وخلفهم عليه، وتبيين وجوه ذلك يدل على براعة وقوة ذكاء بشرط ان لا يؤدي الى ما اسلفناه، واجرأ المتفقهين على التوسع في التحيل ادومهم صلة بالقضاء، ومن وجوه التحيل الذميم الافتاء بأقوال شاذة لا تدعمها الحجج وبروايات ضعيفة لاتقوى امام النقد مهما بهرجها المموه وزخرفها، ومن يقع منه هذا بقلة ورع فالله حسيبه . أما ما يعزى لابي يوسف من انه اتصل بالرشيد بحيل شرعية أجابه بها فولاه القضاء فكذب مختلق عليه - كتخصيص مالك الرشيد برخص - لانه ولي القضاء قبل الرشيد في عهد الهادي واستمر عليه في زمن الرشيد كما ذكره السمعاني وغيره ولم يكن من خلاله المحاباة كما يظهر من (كتاب الخراج) له ومن سيرته المعروفة . وقد ألف الذهبي في ترجمته جزءاً خاصاً يثني فيه على علمه وزهده وورعه ويطريه مع ان الذهبي ممن عرف بالاقتصاد في تراجم هؤلاء. وأما ما ذكره العباس بن مصعب في تاريخ المروزيين عند ذكر عقيل بن عنبسة : حدثنا يوسف بن عيسى عن عقيل ابن عنبسة قال : قلت لمحمد بن الحسن ان لي مالا ولم تجب علي الزكاة منذ سنين . قال كيف هذا ؟ قال قلت اذا كان عندي المال اقل من سنة فقبل ان يحول الحول أهب لولدي قال انك لفقيه هـ . فمردود لان ابن عنبسة مجهول لايعرف بالفقه عند الاصحاب ولا بالرواية وليس في كتب محمد شيء من هذا القبيل وهو الذي يقول في بيع العينة : هذا كأمثال الجبال عندي ذميم . وحملوا تجويز ابي يوسف هذا البيع على صورة عدم عود العين الى صاحبه فأصبحا

الصلاة والعمل بالمسائل التي يسمعون النصوص النبوية بخلافها (١) فيا رجل دع ما يريبك الى ما لا يريبك واحتط لدينك ولا يكن همك الحكم بمذهبك فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه فاذا عملت بمذهبك في الطهارة والمياه والوتر والأضحية فأنت أنت وان

على اتفاق في المسئلة ، وقال الذهبي في جزء ألفه في ترجمة محمد بن الحسن بطريق الطحاوي عن احمد بن ابي عمران عن محمد بن سماعة انه قال سمعت محمد ابن الحسن يقول : هذا الكتاب (يعني كتاب الحيل) ليس من كتبنا انما ألقي فيها هـ . يريد ان كتاباً في الحيل كان يتداوله من قل ورعهم من الناس في ذلك العهد ولم يكن اسم المؤلف مذكوراً في الكتاب فظنوا انه من كتب اصحاب ابي حنيفة وليس كذلك .

(١) كأنه يشير الى ما انتقد ابن ابي شيبة على ابي حنيفة من المسائل المعدودة التي غالب ما ورد فيها من قسم مختلف الحديث فيترجح عند هذا ما لا يترجح عند ذاك لاختلاف اصول الائمة في ذلك . وفي تمحيص تلك المسائل كتب خاصة يرجع اليها ، ودقة مدارك الفقهاء قد تخفى على الرواة فيتسرعون في الحكم فيحتاج هذا الموضوع الى الاتقان في علم الخلاف والجدل وأصول الفقه مع التوسع في احاديث الاحكام وعللها وآيات الاحكام وتفسيرها واختلاف الائمة في شروط قبول الاخبار ووجوه الترجيح ونحوها ، والراجل في جملة ذلك لايحق له ان يعدو طوره . قال النجم الطوفي الحنبلي في شرح مختصر الروضة : ان ابا حنيفة قطعاً لم يخالف السنة عنادا وانما خالف فيما خالف منها اجتهادا بحجج واضحة ودلائل صالحة لائحة وحججه بين الناس موجودة وقل ان ينتصف منها مخالفوه هـ .

كانت همتك في طلب الفقه الجدال والمراء والانتصار لمذهبك على كل حال وتحصيل المدارس والعلو فماذا فقهاً أخرويا بل ذا فقه دنيوي فما أظنك تقول غداً بين يدي الله تعالى تعلمت العلم لوجهك وعلمته فيك فاحذر أن تغلط وتقولها فيقال لك كذبت انما تعلمت ليقال عالم وقد قيل ثم يؤمر بك مسحوباً الى النار كما رواه مسلم في الصحيح فلا تعتقد ان مذهبك افضل المذاهب وأحبها الى الله تعالى فانك لادليل لك على ذلك ولا لمخالفك ايضاً بل الأئمة رضي الله عنهم كلهم على خير كثير ولهم في صوابهم أجران على كل مسألة وفي خطإهم أجر على كل مسألة .

(الشافعيـة)

الفقهاء الشافعية من أكيس الناس وأعلمهم بالدين فأسّ مذهبهم مبني على اتباع الاحاديث الثابتة المتصلة وامامهم من رؤوس اصحاب الحديث (١) ومناقبه جمة فان حصلت ياهذا مذهبـه لتدين الله به وتدفع عن نفسك الجهل فأنت بخير وان كانت همتك كهمة اخوانك من الفقهاء البطالين الذين قصدهم المناصب والمدارس والدنيا والرفاهية

---

(١) وهذا يرد على مايرويه ابن الفراء بطريق ابن ابي حاتم عن احمد : كان الشافعي فقيها ولم تكن له معرفة في الحديث هـ . وعلى ما يقوله القـاضي

والثياب الفاخرة فما ذا بركة العلم ولا هذه نية خالصة بل ذا بيع للعلم بحسن عبارة و تعجل للأجر وتحمل للوزر وغفلة عن الله تعالى فلو كنت ذا صنعة لكنت بخير تأكل من كسب يمينك وعرق جبينك وتزدري نفسك ولا تتكبر بالعلم أو كنت ذا تجارة لكنت تشبه علماء السلف الذين ما أبصروا المدارس ولا سمعوا بالجهات وهربوا لما للقضاء طلبوا وتعبدوا بعلمهم وبذلوه للناس ورضوا بثوب خام وكسرة كما كان من قريب الامام ابو اسحق صاحب التنبيه وكما كان بالأمس الشيخ محيي الدين صاحب كتاب المنهاج وكما ترى اليوم سيدي عبد الله بن خليل ، وعلى كل تقدير إحذر المراء في البحث وان كنت محقا ولا تنازع في مسألة لا تعتقدها واحذر الكبر والعجب بعلمك فياسعادتك ان نجوت منه كفافاً لا عليك ولا لك فوالله مارمقت عيني أوسع علماً ولا اقوى ذكاءً من رجل يقال له ابن تيمية مع الزهد في المأكل والملبس والنساء ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن وقد تعبت في وزنه وفتشه حتى مللت في سنين متطاولة فما وجدت أخره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه الا الكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء

عياض في المدارك : نسلم له الامامة في الفقه وحسن الاعتبار وليس له امامة في الحديث ولا معرفة به هـ . والمؤلف شافعي الفروع حنبلي المعتقد (على مصطلحهم)

بالكبار (١) فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة الظهور نسأل الله المسامحة فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ولا أعلم منه ولا أزهد منه بل يتجاوزون عن ذنوب اصحابهم وآثام اصدقائهم وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه ومادفع الله عنه وعن أتباعه اكثر وما جرى عليهم الا بعض ما يستحقون فلا تكن في ريب من ذلك .

(الحنابلة)

وأما الحنابلة فعندهم علوم نافعة وفيهم دين في الجملة ولهم قلة حظ في الدنيا ، والناس يتكلمون في عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم وهم بريئون من ذلك الا النادر (٢) والله يغفر لهم .

---

(١) ومن جملة ما يقوله الذهبي في حقه ما نقله ابن حجر في الدرر الكامنة : . . ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني الى التغالي فيه وقد أوذيت من الفريقين من اصحابه وأضداده . . وأنا لااعتقد فيه عصمة بل انا مخالف له في مسائل اصلية وفرعية هـ . ومما يجب التنبه اليه ان عادة الذهبي في تراجم الناس ان يوزع آراءه في الرجل على كتبه فلا يغني كتاب له عن كتاب آخر له في التراجم وهذا من معايب كتبه ولعل سبب ذلك انه من المبكرين في تأليف التراجم فيترجم من يترجم لهم قبل ان يدرس حياتهم على الوجه ثم يتدارك مافاته في بقية كتبه وهذه متعبة للفاحص .

(٢) اماالتصريح بالجسمية فهو كما قال المصنف نادر بينهم وأما معناهافغالب فيهم ومن لوازم اقوالهم البينة حاشا التميميين وابن عقيل وابن الجوزي ومن سار سيرهم من الموفقين وقليل ما هم بينهم ، وأمر المصنف في المعتقد ظاهر مكشوف في كتاب العلو وغيره .

﴿ علم النحو ﴾

النحويون لا بأس بهم وعلمهم حسن يحتاج اليه لكن النحوي اذا أمعن في العربية وعري من علم الكتاب والسنة بقي فارغاً بطالاً لعاباً ولا يسأله الله تعالى والحالة هذه عن علمه في الآخرة بل هو كصنعة من الصنائع كالطب والحساب والهندسة لا يثاب عليها ولا يعاقب اذا لم يتكبر علي الناس ولا يتحامل عليهم واتقى الله تعالى وتواضع وصان نفسه .

﴿ علم اللغة ﴾

اللغويون قد عدموا في زماننا (١) فتجد الفقيه لا يدري اللغة والمقرىء لا يدري لغة القرآن والمحدث لا يعتني بلغة الحديث فهذا تفريط وجهل فينبغي الاعتناء بلغة الكتاب والسنة ليفهم الخطاب .

﴿ علم التفسير ﴾

قل من يعتني اليوم بالتفسير بل يطالع المدرسون تفسير الفخر

---

(١) في عصر المصنف ألف « مثل لسان العرب » و « مختار الصحاح » و « المصباح » وغيرها من المعاجم الكبيرة والصغيرة المتداولة ليومنا هذا ، وكان المجد في طريقه الى جمع (القاموس المحيط) فلا يحق له الشكوى الا اذا كان مراده استنهاض همم المحصلين للعناية باللغة كما ينبغي .

الرازي وفيه اشكالات وتشكيكات لا ينبغي سماعها فانها تحير وتمرض وتردي ولا تشفي غليلا(١) نسأل الله تعالى العافية ، وأقوال السلف في التفسير مليحة لكنها ثلاثة اقوال فصاعداً فيضيع الحق بين ذلك (٢) فان الحق لا يكون في جهتين وربما احتمل اللفظ معنيين .

﴿ علم أصول الفقه ﴾

أصول الفقه لا حاجة لك به يامقلد ويا من يزعم ان الاجتهاد قد انقطع وما بقي مجتهد (٣) ولا فائدة في أصول الفقه الا ان يصير محصله

---

(١) للرازي كبير منة على علماء الامة بما خلد في كتابه من النقول عن تفاسير خسرها العالم الاسلامي ،وان كان في تفسيره بعض مايؤخذ ، يفيض في أبحاث تمس بالمعقول افاضة ضليع وقلما يوجد مثله بين النظار في الانصاف مع الاخصام يستفرغ الوسع في تصوير آرائهم على الوجه والاستدلال لها بما قد لا يتيسر لهم فيطول الكلام عليه حتى اذا أخذ في الرد عليهم قد يعتريه فتور قبل تمام الكلام فتبقى اشياء لم ينقضها في هذا الموضع ويكون قد نقضها في محل آخر من كتابه ، والذهبي ممن لا يتسع صدراً لأبحاث تخرج عن حد الرواية وتدخل في ضمن المعقول والدراية .

(٢) يذكر النجم الطوفي في (الاكسير في قواعد التفسير) مسباراً كليا يختبر به الأقوال المختلفة في التفسير بالرواية فيتعرف به وجه التخلص منها وهو من مبتكراته اللطيفة المطردة ، والقواعد العامة في التعارض والترجيح مما ينفع في هذا الصدد .

(٣) باب الاجتهاد مفتوح لأهله على مصراعيه مدى الدهر وموصد

مجتهداً فاذا عرفه ولم يفك تقليد امامه لم يصنع شيئاً بل أتعب نفسه وركب على نفسه الحجة في مسائل (١) وان كان يقرأه لتحصيل الوظائف وليقال فهذا من الوبال وهو ضرب من الخبال .

﴿ علم أصول الدين ﴾

هذا اسم عظيم وهو منطبق على حفظ الكتاب والسنة فهما أصول دين الاسلام ليس الا وأما العرف في هذا الاسم فهو مختلف باختلاف النحل فأصول دين السلف الايمان بالله تعالى وكتبه ورسله

دون كل غمر غر يعجز عن تحقيق باب من أبواب الفقه على مذهب من المذاهب ومع ذلك يصبح مجتهداً في جميع العلوم بالمام يسير منه ببعض رؤوس مسائلها ، أفلا يكون للمقلدين الخيرة في ان لايختاروا تقليد مثل هذا المجتهد ! فالعالم يجري على علمه ومن لايعلم يسأل ثقات اهل العلم على مانطق به الكتاب والسنة وعليه استمر عمل الامة وسم أنت ذلك بما شئت .

(١) لو لم يكن من فوائد هذا العلم سوى التبصر في مدارك الأئمة ووجوه الاستنباط لكفاه شرفا وبهذا الميلق فحسب يمكن اختبار رائج المسائل من زيفها . وبين التقليد البحت الجامد والاجتهاد مراتب وللذين أوتوا العلم درجات ، وليس يلزم لكل من مارس الاصول ان يخرج عن جادة الاتباع فيما اثلج به صدره واستنارت به بصيرته حتى تحصل بذلك مذاهب وأهواء على عدد اشخاص العلماء فلا ينتقص هذا العلم ذو لب ، ولقد أحسن التقي بن دقيق العيد حيث تراه كثيراً مايقول في شرح الالمام : اصول الفقه هو الذي يقضي ولا يقضى عليه .

وملائكته وبصفاته وبالقدر وبأن القرآن المنزل كلام الله تعالى غير مخلوق والترضي عن كل الصحـابة الى غير ذلك من أصول السنة ، وأصول دين الخلف هو ماصنفوا فيه وبنوه على العقل والمنطق وكان السلف يحطون على سالكه ويبدعونه (١) وبينهم اختلاف شديد في

---

(١) ماكان الخلف موجوداً في عهد السـلف فكيف يتأتى هذا الحط وهل لهؤلاء دين ولأولئك دين آخر تالله لتلك احدى الكبر فيكون محصل كلامه ان السلف فريقان متنابذان في اصل المعتقد تابع بعض الخلف أحد الفريقين وبعضهم الفريق الآخر . والحق ان عقيدة السنة في الاسلام واحدة سلفاً وخلفا لاتتغير ولا تتبدل بل الذي يتجدد هو طريق الدفاع عنها بالنظر لخصومها المتجددة . وذم علم الكلام ممن كان في موضع الامامة من السـلف محمول حتما على كلام اهل البدع وخوض العامي فيه قال الاستاذ ابو القاسم القشيري وأجاد : لايجحد علم الكلام الا أحد رجلين جـاهل ركن الى التقليد وشق عليه سلوك طرق أهل التحصيل وخلا عن طرق أهل النظر والناس أعداء ماجهلوا فلما انتهى عن التحقق بهذا العلم نهى الناس ليضل كما ضل أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة فينطوي على بدع خفية يلبس على الناس عوار مذهبه ويعمي عليهم فضائح عقيدته ويعلم ان أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون الستر عن بدعه ويظهرون للناس قبح مقالاته والقلاب لايحب من يميز النقود والخلل فيما في يده من النقود الفـاسدة كالصراف ذي التمييز والبصيرة وقد قال تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) هـ . وأجرأ الناس واكثرهم خرقاً لحجاب الهيبة في اكفار المخالف – مع ماورد في ذلك من الوعيد الشديد – جماعة الحشوية كما يقول ابن دقيق العيد وكما

مسائل منه تركها من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فانه يورث امراضاً في النفوس ومن لم يصدقني يجرب فان الاصولية بينهم السيف يكفر هذا هذا ويضلل هذا هذا فالأصولي الواقف مع الظواهر والآثار عند خصومه يجعلونه مجسماً وحشوياً ومبتدعا والأصولي الذي طرد التأويل عند الآخرين جهمياً ومعتزلياً وضالاً والاصولي الذي اثبت بعض الصفات ونفى بعضها وتأول في أماكن يقولون متناقضاً ، والسلامة والعافية أولى بك فان برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة وآراء الأوائل ومحارات العقول واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف ولفقت بين العقل والنقل فما أظنك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها وقد رأيت ما آل أمره اليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منوراً مضيئاً على محياه سيما السلف ثم صار مظلماً مكسوفاً عليه قتمة عند خلائق من الناس ، ودجالاً أفاكاً كافراً عند أعدائه ، ومبتدعا فاضلاً محققاً بارعا عند طوائف من عقلاء الفضلاء ، وحامل

يظهر من كتبهم في الصفات والتوحيد والرد على الجهمية وذم الكلام والسنة ومما ألفوه في نقد الرجال. ومذهب اهل السنة عدم اكفار المخالف من اهل القبلة.

راية الاسلام وحامي حوزة الدين ومحيي السنة عند عموم عوام أصحابه. هذا ما أقول لك (١).

﴿ علم المنطق ﴾

المنطق نفعه قليل وضرره وبيل وما هو من علوم الاسلام ، أما الحق منه فكامن في النفوس الزكية بعبارات غريبة والباطل فاهرب منه فانك تنقطع مع خصمك وأنت تعرف أنك المحق وتقطع خصمك وأنت تعرف انك على الخطأ فهي عبارات واهية ومقدمات دكاكة نسأل الله تعالى السلامة ، وان قرأته للفرجة لا للحجة وللدنيا

---

(١) وبعد أن نقل الشيخ صديق خان القنوجي هذا وما سبق بعض مخالفة لما هنا قال : فأنت ترى كلامه في الشيخ فزنه بعقلك فانه ظاهر التناقض والله اعلم بالسرائر هـ . كما في مجموع (الرد الوافر) في ص ١٢٦ من الطبعة الفرجية تعليقاً على قول الصفي البخاري في (القول الجلي) : يعارضه ماذكر هو نفسه في (زغل العلم) اهـ . وان وقع في تلك الطبعة هكذا (رجل العلم) ووضع رقم التعليق في غير محله . والواقع ان عدة من العلماء كانوا أسرعوا في اطراء ابن تيمية وتحزبوا له في بادئ الامر ثم صعب عليهم التراجع عن قولهم فيه الى أن توغل في مفرداته المعروفة فتخلوا عنه واحداً بعد واحد حتى الجلال القزويني والقونوي والجريري وغيرهم وعيل اصطبارهم معه بل انحرف الذهبي عنه ايضاً بعض انحراف بعد أن سعى مدة لتخفيف وطآت اضداده نحوه وانتشاله مما تورط فيه سعياً بالغاً كما لايخفى على من درس حياته عفا الله عما سلف .

لا للآخرة فقد عذبت الحيوان وضيعت الزمان ، وأما الثواب فايأس منه ولا تأمن من العقاب الا بمتاب (١) .

(علم الحكمة)

الفلسفة الالهية ماينظر فيها من يرجى فلاحه ولا يركن الى اعتقادها من يلوح نجاحه فان هذا العلم في شق وما جاءت به

---

(١) أنصف المصنف هنا بعض انصاف بالقياس الى آراء طائفته في هذا العلم ولم يقل كما قال السيوطي في شرح عقود الجمان له : نحن معاشر أهل السنة لانجس تصانيفنا بقذر المنطق هـ . ومن الغريب ان الموفق المقدسي لما ألف (روضة الناظر) في اصول الفقه واختصر فيها مستصفى الغزالي برمته وجرى على ترتيبه وعبارته كما يظهر من فحص الكتابين لخص مقدمته المنطقية وجعلها مقدمة لكتابه وانتشرت نسخ الروضة كذلك ولما وقف بعض العلثيين من اهل مذهبه على الكتاب احتد غضباً وعاتب الموفق عتاباً مراً على جعله المنطق جزءاً من كتابه فانصاع اليه وأخذ يترك المقدمة حين يقرأ الكتاب عليه فلذلك ترى المقدمة في نسخة دون نسخة، قال النجم الطوفي في شرح مختصر الروضة له واني اهملت المقدمت في مختصري لأني لاحقق ذلك العلم ولا الشيخ الموفق ايضاً كان يحققه فلو اختصرتها لظهر التكلف عليها من الجهتين فلا يتحقق الانتفاع بها للطالب ويقطع عليه الوقت فمن أراد ذلك العلم فعليه بأخذه من مظانه من شيوخه وكتبه هـ . وهكذا يكون الرجل الصريح . ومن لا يلم بهذا العلم قد يتناقض ولا يشعر ويتخبط ولا يدري ماذا جرى ويبقى ضحكة لذوي العقول في المباحث النظرية فهو علم يعصم عن الخطأ في الافكار ولا يوثق بعلم من لايعلمه عند اهل التحقيق .

الرسل في شق ، ولكن ضلال من لم يدر ماجاءت به الرسل كما ينبغي بالحكمة أشر ممن يدري ، واغوثاه بالله ، اذا كان الذين قد انتدبوا للرد على الفلاسفة قد حاروا ولحقتهم كسفة فما الظن بالمردود عليهم ! وما دواء هذه العلوم وعلمائها والقائمين بها علماً وعقلاً الا الحريق والاعدام من الوجود اذ الدين مازال كاملاً حتى عربت هذه الكتب ونظر فيها المسلمون فلو اعتدمت لكان فتحاً مبيناً (١) والحكمة الرياضية فيها حق من طبائع هندسية وحساب ونحو ذلك ، وفيها اباطيل من التنجيم وما أشبهه فباطلها يؤذي المرء في دينه ويضلله وحقها صنعة واتقان وتحرير مما لا أجر فيه ولا وزر . والحكمة الطبيعية لا بأس بها لكنها ليست من علوم الدين ولا مما يتقرب به الى الله تعالى ولا من زاد المعاد بل هي صنعة بلا ثواب ولا عقاب اذا كان صاحبها سليم الاعتقاد عدلاً خيراً كما رأينا جماعة منهم وقد يثاب الرجل على تعليمها بالنية ان شاء الله تعالى

---

(١) هل ورد في ذلك كتاب ناطق او نص من الرسول صلى الله عليه وسلم قاطع حتى تحكم بهذا الحكم الشديد ! بالله خل علماء المسلمين يقومون بواجبهم يتوقون الضار ويأخذون النافع وضالتهم المنشودة حيث وجدوا ، وانما تسرب الفساد الى شؤون المسلمين بسبب الجهل والكسل لا بالعلم والعمل، نعم من كان سيء السريرة يقدر ان يعمل من الفساد بعلمه مالا يقدر عليه الجاهل لكن الذنب في ذلك ليس الى العلم بل على التهذيب والتدريب .

﴿ علم الفرائض ﴾

والفرضيون داخلون في الفقهاء اذ هو كتاب من كتب الفقه وهو علم مليح والامعان فيه يفوت الوقت والتوسط في ذلك جيد فكم من مسألة فيه ماوقعت ولا تقع ابدا .

﴿ علم الانشاء ﴾

الانشاء فن أبناء الدنيا ليس من علم الآخرة في شيء ، والكامل فيه يحتاج الى مشاركة قوية في العلوم الاسلامية ويريد عقلاً تاماً ورزانة وسرعة فهم وقوة تخيل وتبصر باللغة والنحو وخبرة بالمعاني والبيان والسير وأيام الناس وفنون الأدب وحسن كتابة ، ولكن ليكن رأس مال المنشىء تقوى الله ومراقبته فربما وضع لفظة تعجبه يهوي بها الى النار وهو لا يدري وربما أبدع في سطر ترتب عليه خراب مصر وربما أعان بقلمه على سفك دم بتلك البلاغة فانظر أين انت يا بليغ ، قد ذم نبيك صلى الله عليه وسلم البلاغة فقال (ان من البيان لسحرا) (١) وقال صلى الله عليه وسلم (العيّ من الايمان) فكمل براعة بلاغتك بارضاء ربك الاعلى وبنصح رب الأمر فهنا كمال البلاغة ان كنت من المتقين وان تعذر ذلك فدينك مابه عوض

---

(١) يا ترى هل هذا في جانب البيان مدح ام قدح !

فمن اتقى الله تعالى كفاه الناس ومن أرضى الناس بسخط الله تعـالى سلط الله عليه من ارضاه وانها لكبيرة الا على الخاشعين .

﴿ علم الشعر ﴾

والشعر هو من فنون المنشئ وهو كلام فحسنه حسـن وهو قليل وقبيحه قبيح وهو الاغلب ، وبيت ماله الكذب والاسراف في المدح والهجو والتشبيه والنعوت والحماسة ، وأملحه أكذبه فان كان الشاعر بليغاً مفوها مقداماً على الكذب في لهجتـه مصراً على الاكتساب بالشعر رقيق الدين فقد قرأ مقت الشعر في سورة الشعراء. ويندر على الشعراء المجودين ان يتصونوا من الهجاء وربما ادى الامر بالشاعر للتجاوز الى الكفر نسأل العفو . فالشاعر المحسن كحسان والمقتصد كابن المبارك والظالم كالمتنبي والسفيه الفاجر كابن الحجاج والكافر كذوي الاتحاد فاختر لنفسك أي واد تسلك .

﴿ علم الحساب ﴾

الحساب وشـرع الديوان من علوم القبط والفرس ليس من علوم الاسـلام (١) وهو صنعة ومعيشة ينال بهـا الرجل السعادة

---

(١) كأنه يتناسى ماقيل في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السـلام (اني حفيظ عليم) اي حفيظ للالسن عليم بعلم الحسـاب كما ذكره ابو الحسن الماوردي وغيره .

والدنيا وكلما كان أمهر كان أسرق ومن اتقى الله فيها وكتب لقضاة العدل وباشر للايتام والصدقات ومال الأوقاف والمدارس وأدى الأمانة واتقى فيه فهذا محمود ومأجور بنيته فقد رأينا جماعة يسيرة على نحو ذلك ، نعم ورأينا ذئابا عليهم الثياب ، وفاسق الكتبة اليه المنتهى في السرق وعاقبة أمرهم وبيلة من الضرب والمصادرة والفقر .

﴿ علم الشروط ﴾

الشروط (١) علم حسن شرعي ، من برع فيه والتزم العدالة والورع عاش حميدا ومات فقيدا ومن عاش فيه بالمكر والحيل والدعاوى فلا بد له من خزي في الدنيا ومقت في الأخرى ولايسود هذا ، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى .

﴿ علم الوعظ ﴾

الوعظ : فن بذاته يحتاج الى مشاركة جيدة في العلم ويستدعي معرفة حسنة بالتفسير والاكثار من حكايات الصالحين الفقهاءوالفقراء والزهاد وعدته التقوى والزهادة فاذا رأيت الواعظ راغباً فيالدنيا قليل الدين فاعلم ان وعظه لايتجاوز الاسماع ، وكم من واعظ مفوه

---

(١) هو علم تنظيم الصكوك والمحاضر والسجلات والوثائق الشرعية .

قد أبكى وأثر في الحاضرين في تلك الساعة ثم قاموا كما قعدوا . ومتى كان الواعظ مثل الحسن والشيخ عبد القادر انتفع به الناس .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وبه تم بيان زغل العلم

النصيحة الذهبية لابن تيمية

للحافظ الذهبي

عن أصل منقول من نسخة البرهان بن جماعة التي كتبها من نسخة
الحافظ الصلاح العلائي المأخوذة عن خط الذهبي

لما أخذ ابن تيمية يمضي في شذوذه وقام العلماء ضده كان الذهبي ممن سعى في تهدئة الطرفين مرة يعتب اضداده على تشددهم عليه مراعاة لسعة علمه وأخرى يبعث بهذه الرسالة اليه نفسه ليخفف من غلوائه وليحذره عواقب ما هو عليه من الوقيعة في كبار اهل العلم والشذوذ عنهم.

وفي الاطلاع عليها فوائد للفاحصين وذكرى للذاكرين

وعنى السخاوي هذه الرسالة حيث قال في الاعلان بالتوبيخ في اثناء دفاعه عن الذهبي رداً على من ينسبه لفرط التعصب : (ورأيت له رسالة كتبها لابن تيمية هي في دفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . على ذلتي يا رب ارحمني وأقلني عثرتي ، واحفظ عليّ ايماني واحزناه على قلة حزني وا أسفاه على السنة وذهاب أهلها واشوقاه الى اخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات ، آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس .

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وتباً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه ، الى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك! الى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم (لاتذكروا موتاكم الا بخير فانهم قد أفضوا الى ماقدموا) بلى أعرف انك تقول لي لتنصر نفسك : انما الوقيعة في هؤلاء الذين ماشموا رائحة الاسلام ولا عرفوا ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو جهاد . بلى والله عرفوا خيراً كثيراً مما اذا عمل به العبد فقد فاز وجهلوا شيئاً كثيراً ممالا يعنيهم ومن حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه . يا رجل بالله عليك كف عنا فانك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام ، اياكم والأغلوطات في الدين ،كره نبيك صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال (ان اخوف ما أخاف على أمتي كل

منافق عليم اللسان) وكثرة الكلام بغير دليل تقسي القلب اذا كان في الحلال والحرام فكيف اذا كان في عبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمي القلوب، والله قد صرنا ضحكة في الوجود فالى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لنرد عليها بعقولنا . يارجل قد بلعت سموم الفلاسفة ومصنفاتهم مرات ، وبكثرة استعمال السموم يدمن عليها الجسم وتكمن والله في البدن . واشوقاه الى مجالس فيه تلاوة بتدبر وخشية بتذكر وصمت بتفكر وآهاً لمجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة لا عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة ،كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما. بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس واكل الحبوب وجدوا في ذكر بدع كنا نعدها رأساً من الضلال قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ومن لم يكفر فهو اكفر من فرعون، وتعد النصارى مثلنا ، والله في القلوب شكوك ن سلم لك ايمانك بالشهادتين فأنت سعيد ، ياخيبة من اتبعك فانه معرض للزندقة والانحلال لا سيما اذا كان قليل العلم والدين باطولياً شهوانيا ، لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه فهل معظم أتباعك الا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوي المكر أو ناشف صالح عديم الفهم فان لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل،يامسلم

أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك الى، كم تصادقها وتعادي الاخيار ! الى كم تصدقها وتزدري بالابرار الى كم تعظمها وتصغر العباد الى متى تخاللها وتمقت الزهاد الى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها والله احاديث الصحيحين ، ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والاهدار أو بالتأويل والانكار أما آن لك ان ترعوي ! أما حان لك أن تتوب وتنيب أما انت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل بلى والله ما اذكر انك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغي الى وعظي بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لي أذناب الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقول لك: والبتة سكت . فاذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد فكيف يكون حالك عند اعدائك ، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كما ان أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر ، قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتي سراً (رحم الله امرءاً أهدى الي عيوبي) فاني كثير العيوب غزير الذنوب ، الويل لي ان أنا لا أتوب ووافضيحتي من علام الغيوب ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهرس

الصفحة



ذيل
تذكرة الحفاظ للذهبي

للحافظ أبي المحاسن الحسيني المتوفى سنة ٧٦٥

ويليه

لحظ الألحاظ
بذيل طبقات الحفاظ

للحافظ تقي الدين بن فهد المكي المتوفى سنة ٨٧١

ويتلوهما

ذيل الحافظ السيوطي عليهما

المجموع في ٤٥٤ صفحة ، ٢٠ قرشاً مصريا